

البحر الأحمر: جنة الغواصين

بـقلم وعدسة تشارلز سترلينغ

البحر الأحمر مشهور عالمياً بإمكانيات الغوص، وإذا كنت لم تخاطر مطلقاً بالغوص تحت الماء، فإنك ستجد هذه التجربة رائعة، وهي تقريبا الطريقة الوحيدة للتمتع بالحركة الحرة في الأبعاد الثلاثة، والتزلق في الفضاء. ما ترونه هو فعلا عالم آخر. والغطاسون يعملون في كل مكان على الساحل، وبعضهم أفضل من البعض الآخر. فنتحتاجون إلى تدقيق مؤهلاتهم وسمعتهم. وللإستفادة القصوى من الغوص عليكم بالتدريب. علما بأن العديد من محلات الغوص في البحر الأحمر تقدم دروسا أولية للغوص في المياه الضحلة.



إذا كنت لم تقم بالغوص مطلقا في الماضي، فهذه الدروس التمهيدية متوفرة حتى للمبتدئين تماما وهي كافية لكي تجعلكم مولعين بالدخول في دورة غوص للمزيد من التعلّم. إذا كنت غير متأكد من هذا فعلى الأقل حاول أن تقوم ببعض الغوص لترى العالم البحري الختفي تحت السطح. وأكثر شركات الغوص الآن توفر الغوص المعتمد على الزورق، إما على قارب مجرّد يوم أو لعدّة أيام. وبدلا من ذلك فإن الغوص من الشاطئ ما يزال موجودا في بعض المواقع.

خيّط بكل هذا الساحل الشعاب المرجانية، التي تؤدي وظيفتين، هما حماية الشواطئ من التآكل وتوفير مساكن لمئات الأنواع من الأسماك وآلاف الأنواع من اللافقريات، الشعاب المرجانية هي حيوانات تعيش في مستعمرات، وفي الشعاب المرجانية الصلبة تفرز كربونات الكالسيوم لتكوين "بيوت" صغيرة مستقلة تتلاصق مع بعضها البعض لتكوين كتل كبيرة مثل شقق السكن العادية، وكل نوع منها له معماره الخاص. ومن تراكم كل هذه "المجموعات من الشقق" يتشكل الهيكل المادي للشعاب المرجانية، أو لتقريب المعنى عن طريق التشبيه، فإن هذه "المدن" والشعاب معقدة مثل أي مدينة. أجزاء الشعاب المرجانية التي تؤلف النظم الأيكولوجية مترابطة جدا وكل واحدة منها تشكّل وتعمل على الحفاظ على استقرار المجموعة. ◀

شمال مرسى علم، وبإتجاه البحر، في مروج الأعشاب البحرية لمرسى أبو الضباب، هناك بيئة مناسبة للأبقار البحرية وحيوانات أخرى لكي ترعى فيها. وهذه هي حيوانات كبيرة ونادرة من فصيلة الثدييات البحرية ومهددة بالانقراض ويوجد منها حاليا فقط 12 حيواناً معروفاً في المياه المصرية. إذا كنت محظوظاً فمن الممكن الغوص منفرداً هنا وليس كجزء من برنامج سياحي، وكغواص منفرد سوف تعيش تجربة نادرة لا تنسى. ويمكن أن تجد في المنطقة نفسها سلاحف كبيرة خضراء، كُلتُ من هذه الحيوانات يعتمد على مناطق الأعشاب البحرية في التغذية، وهي المناطق المعرضة للتنمية، خصوصاً وأن الأعشاب البحرية غالباً لا تعتبر شيئاً خاصاً من قبل المفاولين. الشعاب المرجانية القريبة من الساحل يمكن ملاحظتها من خلال الغوص بمصاحبة قنينة الأوكسجين أو بدونها. الغوص يمنح الوقت لأحدث صلة شخصية مع البيئة ويسمح برؤية مشاهد رائعة لعالم مختلف تماماً عن العالم الذي نعيش فيه. رؤية هذا العالم على شاشة التلفزيون تعطي لمحة عنها، ولكنها مثل التعرف على مطعم جيد من خلال قراءة قائمة المأكولات. ■

السفن من إحداث أضرار للمرجان. وهناك عقوبات قاسية على تجارة وتصدير الأصداف أو المرجان (لا تحاول حتى أخذ عينات صغيرة من المرجان إلى بلدك فمن الممكن أن يؤدي ذلك بك إلى السجن أو على الأقل تدفع غرامة كبيرة). بالرغم من كل ذلك فإن المنطقة ما تزال ساحة صراع بيئية لاستيعاب الراغبين في وضع فنادق أكثر لعدد الزائرين المتزايد وفي نفس الوقت تعليم الأهالي على عدم إلقاء القمامة بلا مبالاة، وهناك نكتة تقول: إن كيس البلاستيك يمكن اعتباره الزهرة البرية في مصر. إذن، كزوار، ماذا وكيف يمكنكم تجربة عالم الأحياء البحرية؟ في العديد من الشواطئ ونهايات المياه يمكن التعرف على الحياة البحرية بمجرد الخوض في الماء والنظر فيه، كما يفعل الكثير من الطلبة في جامعة القاهرة في درس البيولوجيا الميداني. لا تسرع على المرجان، لكن بعض المستعمرات الصغيرة تمكن رؤيتها على الصخور عندما تكون واقفا بجوار الرمل، وكذلك غيرها من الحيوانات الصغيرة. الغوص بدون قنينة الأوكسجين هو المرحلة التالية، ويمكن أن يعطي فكرة أفضل عن الحياة تحت السطح، بينما الغوص مع القنينة يدخلكم تماماً في هذا العالم.

كل واحدة من هذه الحيوانات المرجانية هي زائدة لحمية مع مجسات صغيرة لصيد مخلوقات مجهرية كأغذية وأيضاً تحتوي على نباتات وحيدة الخلية تقوم بعملية التركيب الضوئي لتوليد أغذية إضافية. هذا الاعتماد على التركيب الضوئي هو جزء من السبب وراء الاهتمام بقضيتي التلوث والارتفاع الحراري العالمي، وهذه المخلوقات حساسة للغاية للضوء والحرارة. الشعاب المرجانية تعتمد على المياه الصافية لأن الرمال أو الأتربة والغرين، وأي ترسب إضافي عموماً، يمنع الضوء اللازم لإتمام عملية التمثيل الضوئي. وأعمال البناء، إذا لم يتم التعامل معها بعناية، فمن الممكن أن تضع ترسبات إضافية على الشعب المرجانية، فتقتلها. وأحياناً تهدم الشعاب المرجانية لفتح الشاطئ أمام الزوار، والشعاب المرجانية الميتة تتآكل ببطء فتفقد خصائصها، مثل حماية الشواطئ وكونها سكناً للمخلوقات التي تعيش فيها. تعمل مصر جاهدة على حفظ البيئة من خلال المحميات البحرية، وحظر استغلال الصيد، أو إلقاء القمامة والنفايات في البحر. وقد وضعت إلامات على عوامات دائمة الرسو لمنع مراسي

